

المحاضرة الثامنة: المنهج الوصفي

1- مفهوم المنهج الوصفي:

يلعب الوصف دورا أساسيا في المعرفة فهو وصف الظاهرة من خلال الإجابة على السؤال الأساسي في العلم: ماذا؟ إذ أن الوصف يهتم أساسا بالوحدات أو الشروط أو العلاقات أو الأنساق الموجود بالفعل و كذا يشمل كيفية عمل الظاهرة حيث أن المنهج الوصفي هو بحث تقرير في جوهره و مهمة الباحث أن يصف الوضع الذي توجد عليه الظاهرة او . الموضوع محل الدراسة في الوقت الحاضر ، أي في فترة إجراء الدراسة و على الرغم من أن الوصف هو أبسط أهداف العلم إلا أنه الأساس الذي لا بد منه كي ينتقل العلم إلى أهداف أعلى، و المهمة الجوهرية للوصف هي أن يتم فهم الظاهرة على النحو الدقيق أو على النحو الأفضل .

و قد ابتكر العلماء النفسائيون و التربويون طرقا أفضل لجمع البيانات و التي أن تصف بدقة الجوانب المختلفة للظواهر أو الموضوعات البحثية المتنوعة و اعتمد في ذلك على مجموعة من الادوات كالملاحظة ، الاستبيان ، المقابلة و الاختبارات و المقاييس المتنوعة بما جعل البحوث الوصفية تزود المعرفة بثروة هائلة من الحقائق الجزئية التفصيلية بل و تمكن من تلك البحوث من أن ترقى إلى مستوى من التعميم يشمل ما يسمى ببناء المفاهيم أو تصنيفها

من هنا يعرف المنهج الوصفي بأنه مجموعة الإجراءات البحثية التي تتكامل لوصف الظاهرة أو الموضوع اعتمادا على جمع الحقائق و البيانات و تصنيفها و معالجتها و تحليلها تحليلا كافيا و دقيقا للإستخلاص دلالاتها و الوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة أو الموضوع أو محل الدراسة و على الرغم من أن الوصف الدقيق المتكامل هو الهدف الأساسي للبحوث الوصفية إلا أنها كثيرا ما تتعدى الوصف إلى التفسير و ذلك في حدود الإجراءات المنهجية المتبعة و قدرة الباحث على التفسير و الاستدلال.

2- أنماط المنهج الوصفي :

يتضمن المنهج الوصفي مجموعة من الأنماط أو المناهج الفرعية و التي تناولها الباحثون تحت مسميات مختلفة و تصنيفات متباينة ، غير أنه إذا كان الهدف الأساسي للمنهج الوصفي و هو وصف الظاهرة أو موضوع محل الدراسة وصفا دقيقا و متعمقا بما يتيح الفهم على نحو أفضل فإن هذا الهدف يمكن تحقيقه من خلال الطريقة المسحية أو من خلال وصف العلاقة بين المتغيرات المؤثرة في الظاهرة أو الموضوع ، أو من خلال التعمق في دراسة نماذج من الحالات أو من خلال رصد و تحليل البيانات المتاحة عن الظاهرة أو الموضوع و صياغتها بأسلوب كفي.

3-الدراسات المسحية :

- تعريف المسح:

هو محاولة بحثية منظمة لتقرير و تحليل و وصف الوضع الراهن لموضوع أو ظاهرة أز نظام أو جماعة بهدف الوصول إلى معلومات وافية و دقيقة فالتعريفات التي وضعت لمفهوم المسح في الدراسات العلمية تتفق على أنه ينصب على الوقت الحاضر أي وقت إجراء البحث و أنه الدراسة العلمية للظواهر أو الموضوعات القائمة في جماعة معينة و في مكان محدد.

و إصطلاح المسح في التربية و غيرها من مجالات العلوم الإنسانية هو مصطلح مستعار من ميدان الدراسات الطبيعية ، فكما تمسح بقعة من الأرض لتحديد مساحتها و معرفة خصائصها البيولوجية و السطحية و الجوية تمسح الظواهر و الموضوعات الإنسانية لتحديد خصائصها و وظائفها و سلوك الأفراد حيالها ، و تتوقف أهمية الدراسات المسحية على عمق و شمول البيانات المتاحة عن الظاهرة أو الموضوع و كذا على كفاءة الباحث و خطة البحث و تنفيذه.

و للدراسات المسحية أهمية بالغة في المجال التربوي فبواسطتها تتاح المعلومات المنظمة عن الظاهرة أو الموضوع التربوي بما يمكن من الفهم الدقيق لتلك الظاهرة ، ويستفاد من الدراسات المسحية في التخطيط التعليم و دراسة المشكلات التربوية القائمة و

تحديد مدى تأثيرها على المجتمع و إمكانية حلها و كذا معرفة اتجاهاتها الرأي العام نحو القضايا التربوية و السياسية التعليمية من جوانب مختلفة، و قد تتم الدراسات المسيحية في المجال التربوي بالحصر السامل أو بالعينة

فالممسوحات الشاملة تجري عندما يكون عدد الوحدات المطلوب دراستها محدود أو في متناول الباحث أو الجهة القائمة على البحث، كان يتم إجراء دراسة مسيحية على جميع مدارس التعليم العام في مجتمع معين لاستطلاع آراء مديري هذه المدارس حول المشكلات التي تواجه العملية التعليمية و في هذه الحالة تجري الدراسة مع مديري المدرسة فقط أما المسح بالعينة فإنه يتم على عينة من المدارس يتم إختيارها عشوائيا بحيث تمثل مختلف المناطق و مختلف المراحل التعليمية (ابتدائي ، متوسط ، ثانوي) و يمكن إختيار ثلاثة .. مدارس بواقع مدرسة من كل مرحلة.

4- دراسات العلاقات المتبادلة:

هناك بعض الباحثين الوصفيين لا يقتنعون بمجرد الحصول على أنواع دقيقة للظواهر السطحية ، فهم لا يجمعون فقط معلومات عن الوضع القائم ولكن يسعون أيضا إلى تعقب العلاقات بين الحقائق التي حصلوا عليها بغية أن يتوصلوا إلى بصيرة أعمق بالظواهر ، و سوف نناقش في بحثنا هذا ثلاثة أنماط من هذه الدراسات وهي

5- دراسة الحالة :

وتمثل نوعا من البحث المتعمق عن العوامل المعقدة و التي تسهم في فردية وحدة اجتماعية ما شخصا كان أو أسرة و جماعة أو مؤسسة اجتماعية.... فمن خلال استخدام عدد من أدوات البحث تجمع بيانات دالة عن الوضع القائم للوحدة و الخبرات الماضية و العلاقات و العلاقات مع البيئة و بعد النظر في العوامل و القوى التي تحدد سلوكها بعمق و تحليل نتائج تلك العوامل و علاقاتها يستطيع المرء أن ينشئ صورة متكاملة للوحدة كما تعمل في المجتمع .

ويدرس الأخصائيون الإجتماعيون و الموجهون النفسانيون عادة شخصية الفرد بقصد تشخيص حالة معينة و تقديم توصيات بالإجراءات العلاجية ، و يقتصر اهتمامهم بالفرد من حيث أن شخصيته فريدة و من ناحية أخرى فإن الباحثين أكثر ميلا أن يهتموا بالأفراد كأنماط

ممثلة فهم يجمعون بيانات عن الأفراد المختارين بعناية بقصد التوصل إلى فهم أكثر اكتمالا . عن الجماعة التي يمثلونها

و قد تكون الحالة التي يجري عليها البحث مؤسسة أو هيئة اجتماعية أو جماعة قائمة مثل جمعية تعاونية أو فريق كرة قدم ، و قد تكون مجتمعا قرويا أو حضريا و فقد تتركز الدراسة حول أشخاص يشغلون مراكز معينة كرئيس بلدية مثلا أو قد تدور الدراسة حول أشخاص متطرفين في انصياعهم لمعايير الجماعة بالنسبة لموضوع من الموضوعات أو في عن انحرافهم عنها ..، و تتطلب دراسة الحالة مرونة كافية يستطيع معها الباحث أن يتطور و أن يعدل خطة بحثه نتيجة لما نكتشف عنه دراسته الاستطلاعية من أمور جديدة، و تبدأ كما تبدأ كل دراسة علمية بتحديد الظاهرة ثم جمع البيانات عنها بمختلف الأدوات مثل المقابلة و الوثائق و المذكرات اليومية و الملاحظة تحت ظروف مختلفة... و ذلك بقصد التعمق في دراسة دوافع السلوك الفردي و الجماعي و العادات و المعايير الاجتماعية ووسائل الضبط... الاجتماعي .

و يصاحب جمع البيانات و وضع الفروض و تعديلها باستمرار تعديلا يتفق مع طبيعة البيانات التي تجمع و هكذا إلى أن نصل إلى مرحلة يمكن معها صياغة الفروض بصورة .تسمح باختبارها اختبارا دقيقا يتيسر معه التعميم و تشبه دراسة الحالة الدراسة المسحية إلا أنه بدلا من جمع البيانات تتعلق بعوامل قليلة من عدد كبير من الوحدات الاجتماعية فإنها تقوم بدراسة مستوعبة لعدد محدود من الحالات الممثلة، بل و أكثر من ذلك فإن دراسة الحالة تكون أكثر وضعية في طبيعتها من الدراسة المسحية فمن خلال الوصف بالكلمات تكشف عن ثروة من المعلومات القيمة التي قد لا يكون في مقدار الدراسة الكمية أن تتوصل إليها و نتيجة لذلك فإن غالبا ما تستخدم دراسة الحالة في . أن تكون الطريقة المسحية

أن أكثر الدراسات الرقمية مغزى في العلوم " (Young) و في ذلك يوضع يونج الاجتماعية هي تلك التي ترتبط بدراسات الحالة الشاملة التي تنتصف بدقة العلاقات المتداخلة للعوامل و العمليات". فدراسات الحالة تعتبر ذات فائدة بالنسبة للباحث القائم بالمسح لأنها قد تكشف عن أي العوامل تكون صحيحة في موقف ما و التي يمكن قياسها بطريقة كمية و من

ناحية أخرى فإن الدراسات المسحية الإحصائية قد تزودنا بدليل لانتقاء المفحوصين الممثلين لدراسة الحالة و لذا فإن الطريقتين تتداخلان بشكل أو بآخر.

6- الدراسات المقارنة :

وهي تركز على كيف و لماذا تحدث الظاهرة الاجتماعية؟ أي أنها تقارن جوانب التشابه و الاختلاف بين الظواهر لكي تكشف العوامل و الظروف التي تبدو أنها تصاحب أحداثا و عمليات و ممارسات معينة، و هي تحاول أن تنظر بعمق بغية تأكيد ما إذا كانت هذه العلاقة قد تسبب أو تسهم أو تكمن وراء الحالة السطحية و من الأمثلة التي توضح هذه الطريقة: نفرض أن الباحث يرغب في دراسة اضطرابات التكامل المدرسي فإنه بدلا من أن يشكل تجربة لاختيار ما إذا كانت هناك عوامل متعددة سوف تسبب الاضطرابات أو الظاهرة فإنه يقارن المجتمع الذي يظهر فيه الاضطراب بمجتمع آخر لم يظهر فيه الاضطراب و بعد دراسة التشابهات و الاختلافات بين الموقفين فإنه يصف العوامل التي تبدو أنها تكمن وراء الاضطراب في أحد المثاليين و ليس في المثال الآخر.

وتمتد الدراسات المقارنة في علم الاجتماع إلى دراسة الفروق و الاختلافات الثقافية، و بعدة دراسات من هذا النوع عندما درست الصفات M.Mead «مارجريت ميد لقدمت النفسية لبعض القبائل البدائية مقارنة بدراسة هذه الصفات عند الإنسان المتحضر و نفس الطريقة في دراستها لأنماط الثقافة «Benedict» بنديكت اتبعت و قد لا نستطيع الحصول على المعلومات دقيقة ثابتة من خلال الدراسات المقارنة و لكن هذه الدراسات تزودنا بالوسائل التي تعالج بها المشكلات التي لا يمكن فحصها في موقف معملية و تمدها بدلائل قيمة تتعلق بطبيعة الظواهر، و كلما تحسنت الطرق و الأدوات و الضوابط في معالجة الدراسات المقارنة حظيت هذه الأخيرة باحترام أكبر.

الدراسات الارتباطية:

وهي تركز على استخدام الطرق الارتباطية التي تهدف إلى استكشاف حجم و نوع العلاقات بين البيانات، أي إلى حد تتطابق تغيرات في عامل واحد مع تغيرات في عامل

آخر، و قد ترتبط المتغيرات مع بعضها البعض ارتباطا جزئيا موجبا أو سالبا، ذا دلالة إحصائية أو يرجع إلى الصدفة... و هكذا تغير الطرق الإحصائية لحساب معاملات الارتباط و دلالتها في هذا المجال فائدة كبيرة و تخدمه الدراسات الارتباطية عدد من الأغراض و خاصة في دراسات التنبؤ، و تعتبر طريقة الارتباط ذات قيمة في تحليل السبب و الأثر ولكنها تبين في صورة كمية إلى أي حد يرتبط متغيران: إنها لا تتضمن بالضرورة أنه توجد علاقة سبب أثر، و يمكن التوصل إلى تفسير معنى العلاقة عن طريق التحليل المنطقي أكثر من التقدير الإحصائي. و هذا التفسير عرضة لكل المزالق و الحدود التي ذكرناها عن الدراسات المقارنة.

قائمة المصادر

- 1- بشير صالح الرشدي :مباحث البحث التربوي, دار الكتاب الحديث , الطبعة الأولى, الكويت, 2000
- 2- عبد الفتاح محمد دويدار:مناهج البحث في علم النفس, دار المعرفة - الاسكندرية , مصر, 1996.
- 3- مجدي عزيز إبراهيم :مناهج البحث العلمي في العلوم التربوية و النفسية- المكتبة الأنجلو مصرية , القاهرة, ..1989
- 4- محمد زيان عمر: البحث العلمي مناهجه و تقنياته- د.م.ج -الجزائر , 1989.
- 5- عمار بوحوش,, محمد محمود الذنبيان: مناهج البحث العلمي و طرق إعداد البحوث د.م.ج الجزائر - ط3 , 2000.